العالم المسرحي والسينمائي

فن التنكر MAKE - UP

لناقد « الرسالة » الفني

فن التنكر Make - up أو الماكياج ، من أدق الفنون التي تتطلب من الممثل مهارة خاصة ، اوخبرة واسعة ، ودراية تامة ، ذلك لان الممثل يعتمد على تعبيرات وجهه ومايكون لهامن التأثير في نفس المتفرج في ابراز الشخصية التي يمثلها ، وفي تلوين بعض المشاهد بلون العاطفة التي تناسبها من الغضب او الرضا ، اليأس أو الرجاء ، الحب او البغض ، الى غير ذلك من شتى الانفعالات النفسانية التي تختلج في القلب ، ويلجأ الممثل في أظهارها الى رنة الصوت وطبيعة اللهجة التي يتحدث بها ، وبما يأتيه من الحركة المناسبة ، هادئة كانت ام عنيفة ، ثم بما يلوح على وجهه من الملامح التي تعبر عن هذه العاطفة ، ومن هذا المجموع ، من الصوت والحركة وملامح الوجه ، يستطيع الممثل ان يحدث في نفس المتفرج الاثر الذي يريد، وينقل اليه إحساس الشخصية التي يحيا في تضاعيفها على المسرح .

على ان الوجه ومايتطبع عليه من تعبيرات شتى ، ومايلوح على صفحته مما يترجم عن خلجات النفس وعواطف القلب ، أكبر معوان للممثل في فنه . والممثل القدير قد يعطيك بنظرة ساهمة ، اولمحة خاطفة ، مالاتؤديه عشرات الجمل ، بل قد يشرح الممثل المؤلف والقصة كلها بهذه النظرة ، أو هذه الملامح التي تنطبع على صفحة وجهه في مشهد من مشاهد القصة .

أذكر أني يوم قرأت « شمشون » للمؤلف الفرنسي المعروف هنري برنشتين ، استكثرت على الزوج ان يضحي ثروته ومركزه الذي ناله بكده وجده ، وكان حالا فأصبح من كبار رجال المال والنفوذ ؛ استكثرت عليه ان يضحي كل جهود حياته في سبيل الانتقام من عشيق زوجته . وطويت الرواية وانا أقول إن برنشتين لا يزال يجعل العمل المسرحي غرضا من اغراضه ، وشاهدت هذه القصة بعد ذلك من فرقة فرنسية على أحد مسارح القاهرة ، ورأيت الممثل الذي قام بدور الزوج في المشهد الرائع الذي يتضمن في تضاعيفه القصة كلها ، تراه في هذا الموقف بين اثنتين : اما أن يكف عن طريقته في الانتقام من عشيق امرأته ، واما أن تجرفه العاصفة معه فيسقطان الى الهاوية معا ، وقف الزوج مشدوها لا يتحرك ، ينتابه الف عامل وتمر بقلبه الف عاطفة ، وفجأة ينظر الى غرفة داخلية كان قد احتبس فيها خصمه ، ينظر الى الغرفة فتلمح في نظرته وترى على وجهه من معاني الحقد والثأر والغضب ما يفزعك ، ثم يصدر أمره الى أحد رجاله بأن يمضي الى النهاية ، النهاية التي فيها الخراب والدمار ، وفي هذه النظرة الحاقدة ، وفي هذه الملامح التي غمرت الوجه لحظة أو بعض لحظة ، ملامح الغضب الكمين والرغبة في الثأر والانتقام الفظيع برر الممثل ما أخذه الناقد على المؤلف ، بل شرح الممثل المؤلف وأعان المتفرج على أن يفهم كيف ارتضى الزوج أن يهدم حياته كلها في سبيل هذا الانتقام .

وأنت إذ تمضي في الطريق ترى عشرات الوجوه ، بل المئات بعضها سمح طلق تحس الراحة والطمأنينة بالتطلع اليه ، وبعضها قاس عنيف تنفر منه ، بعضها تحس أن وراءه طيبة طيبة وقلبا كريما ، وبعضها الآخر تحس أن وراءه خبثا كميناوشرا مستطيرا ، وقد ترى انسانا لا تعرفه ولم تحتك به في عمل أو حديث ، ولا صلة لك به ، ثم تهمس في اذن صديقك انظر ! هذا رجل أبله ، أو هذا رجل طيب ، أو هذا رجل شرير ، إلى غير ذلك من المعاني التي توحيها اليك ملامح الوجه الذي رأيته .

ومن العبارات المألوفة أن تقول عن شخص معين في حديث يدور حوله إن

وجها يدل على الطيبة وكرم الاخلاق وأن ملامح وجهه تدل على انه شرير خبيث ولن تجد لغة من اللغات تخلو من هذه العبارات التي تتردد على الالسنة والاقلام ، فتمر بالسمع او يقع عليها النظر وكأنها بدهية لا نقاش فيها ولا جدال ، وفي العربية من مثل هذا شيء كثير ، وفي شعرها ونثرها قديمه وحديثه مطولات في وصف الوجوه على مختلف ما تنبئ عنه ملامحها وقسماتها ، وهذا هو الشاعر العربي لم ينس ان يستهل القول في مديح من أراد وصفهم بانهم (بيض الوجوه . . .) . وهذا الحطيئة لما أراد ان يهجو نفسه ، هجا وجهه ! !

ولسنا نمضي في هـــذا الى النهاية ، فاننا لا نكتب بحثا في الادب ، وكل ما أردناه من هذا الاستطراد ان نقول ان لوجه المرء وما يرتكز عليه من ملامح ، او يمر عليه من تعبيرات ، اهمية كبيرة في اعطاء الناظر فكرة خاصة عن صاحبه ، سيئة كانت ام حسنة ، سواء أكانت هذه الفكرة عن طبيعة الشخصية ذاتها في سائر اطوارها ، ام عنها في ظرف خاص ووقت معين ، ومن هنا كانت هذه الاهمية الكبرى التي يعلقها فن التمثيل على قوة تعبير الممثل بوجهه ، ولهذا كان لفن التنكر خطره الذي لا ينكر ، فاذا أجاده الممثل اعانه الى مدى كبير على خلق شخصية دوره خلقا صحيحا مستقيما مع طبيعة الدور ، واعانه على اعطاء المتفرج فكرة حقيقة عن الشخصية التي يقوم بها كما أرادها المؤلف ، وكما تفرضها طبيعة القصة ، واذا اخطأ الممثل في تنكره المسرحي ولم يعط الوجه — مستعينا بما لديه من الأدهنة والالوان وغيرها من ادوات التنكر المعروفة — الصورة التي يجب أن يكـــون عليها ، فقد يؤدي به ذلك الى الفشل المحتوم والسقوط الذي لا مفر منه ، بل هذه هي النتيجة التي لا محيص عنها ؛ وضع على وجه اقدر الممثلين واكفئهم قناعا كثيفا واخرجه امام الجمهور المتفرج فلن يرى فيه الا دمية تتحرك وجثة تروح وتجيء ، بعد أن حجبت منبع الحياة ، ومرآة القلب والشعور .

وفن التنكر من أدق الفنون وأشقها ، يتطلب خبرة واسعة ودراية كبيرة ، حتى ليضطر الممثل الذي يريد أن يحيط به احاطة تامة أن يدرس تشريح الوجه من الوجهة الطبية ويلم بكل التفاصيل التي تتعلق بهذه الناحية الماما تاما . وعليه ان يدرس أيضا الى جانب هذا مختلف التغيرات التي تطرأ على وجه الانسان في شتى أطوار حياته وكلما تقدمت به السن . فوجه ابن العشرين ليس كوجه ابن الاربعين أو الستين ، كما أن علائم المرض والصحة تترك أثرها على الوجه ، وهناك بعض الامراض تترك آثارا مادية تدل عليها كالجدري مثلا .

والى اختلاف السن ، هناك اختلاف البيئة والمركز الاجتماعي والمعروف أن لكل حرفة طابعا خاصا يميز صاحبها ، ولا تخطئ النظرة الدقيقة الخبيرة هذا الطابع على الوجه ، وما أظن أن من العسير أن تميز الفلاح من بين المئات ولاول نظرة وفي مقدورك أن تشير الى احد المارة فتقول انه عامل ، وتكون مصيبا في قولك صادقا في فراستك ، كما تستطيع ان تحكم على معين أنه من الدهماء أو من أوساط الناس أو أثريائهم من ملامح وجهه ، ومن العبارات المألوفة قولنا « هذا الشخص تلوح على وجهه آثار النعمة »

والتعاسة والشقاء يتركان على الوجه آثارا لا تخطئها العين في تلك التجاعيد والتقطيبة ومسحة الألم التي تنبيء عما وراءها من كدر العيش ومرارة الحياة ، كما أن السعادة والهناء يخلفان هذه البسطة في الملامح والسماحة في تعبيرات الوجه ، تتوجها كلها الابتسامة المشرقة التي تدل على راحة البال وخلو الفؤاد مما يشغله من اكدار الدنيا .

وانت تعرف بعد كل هذا أن للاقليم تأثيره في ملامح الانسان ، بل قد تتعدد السحن والوجوه في الاقليم الواحد والوطن الواحد ، فالاوروبي غير الاسيوي ؛ وفي اوربا الانجليزي غير الفرنسي ، والالماني غير الايطالي ، كما أن في آسيا الصيني والياباني غير الهندي والتركي والسوري ، وفي افريقيا المصري غير السوداني وهكذا .

كذلك يختلف أبناء الوطن الواحد ، فالقاهري غير الصعيدي أو الاسكندري مثلا ، وقس على ذلك مئات الفروق التي تجدها في هذه الدنيا العريضة ، والممثل يحكم مهنته معرض لأن يقوم بتمثيل شخصية من هذه الشخصيات المنتشرة على رقعة الارض ، وقد يكون من المستحيل أن تطلب منه أن يدرس كل هذه الشخصيات الدراسة التفصيلية التي تعينه على تنكره وتكييف ملامح وجهه ، بما يعطي الشخصية الطابع الاصيل لها ، ولكن من الميسور لديه أن يدرس الشخصية التي سيمثلها الدراسة التي تؤهله لاعطاء المشاهد صورة منها ، مستعينا على ذلك بأدوات التنكر التي تحت يده .